تحول «نموذج نهر اللؤلؤ»: العملية البنيوية للتفضية الدولتية في منطقة خليج قوانغدونغ-هونغ كونغ-ماكاو الكبرى

ZHAN Wei, YUAN Qifeng, LU Junwen

ملخص: يعكس تحول التنمية في منطقة خليج قوانغدونغ-هونغ كونغ-ماكاو الكبرى بعمق منطق التفاعل بين تطور النماذج الإقليمية وإعادة تشكيل الفضاء الوطني. وانطلاقا من الإطار النظري للفضاء الوطني، يناقش هذا المقال العملية البنيوية للنموذج الإقليمي، ويرى أن «نموذج نهر اللؤلؤ» في مرحلته المبكرة، بما امتلكه من مزايا جغرافية واجتماعية ومؤسسية، اندمج في النظام الصناعي العالمي عبر مسار «الإدخال - الهضم» للتكنولوجيا الصناعية؛ كما حفزت المنافسة اللامركزية حيوية المنطقة بفاعلية، وبرزت سمات الفضاء الوطني التجريبي من خلال المناطق الاقتصادية الخاصة ومناطق التنمية. ومع تفاقم الآثار السلبية لاقتصاد الوحدات الإدارية، بدأ بعد عام 2008 التحول نحو «نموذج منطقة الخليج» القائم على التعاون الإقليمي؛ وانتقلت صيغة الفضاء الوطني من التجريب اللامركزي إلى التكامل الاستراتيجي، وحققت منطقة الخليج الكبرى «إعادة تمجال» ضمن إعادة تنظيم المقاييس، متجهة إلى بنية حضرية كبرى متعددة المراكز. وفي المستقبل، تقتضي حوكمة التخطيط الإقليمي بناء أدوات مبتكرة للسياسة المكانية، لتنسيق الابتكار المؤسسي وآليات إعادة التشكيل الترابي، وتحقيق تخصيص فعال لعوامل الإنتاج الإقليمية، بما يعزز التنمية المنسقة ويحسن التنظيم المكاني.

الكلمات المفتاحية: نموذج نهر اللؤلؤ؛ نموذج منطقة الخليج؛ التفضية الدولتية؛ العملية البنيوية

تصنيف المكتبة الصينية: TU984؛ رمز الوثيقة: A

DOI: 10.16361/j.upf.202501007؛ رقم المقال: 1000-3363(2025)01-0046-09

نبذة عن المؤلفين: Wei ZHAN، طالب دكتوراه في كلية العمارة بجامعة جنوب الصين للتكنولوجيا، البريد الإلكتروني: zhanwei@hnlgdx.wecom.work؛ Qifeng YUAN، أستاذ ومشرف دكتوراه في المختبر الوطني الرئيسي للعمارة والعلوم الحضرية شبه المدارية، جامعة جنوب الصين للتكنولوجيا؛ Junwen LU، باحث ما بعد الدكتوراه في كلية العمارة بجامعة جنوب الصين للتكنولوجيا، المؤلف المراسل، البريد الإلكتروني: lujunwen@scut.edu.cn.

التمويل: مشروع رئيسي للصندوق الوطني للعلوم الاجتماعية في الصين «دراسة الأشكال الاجتماعية للمجتمعات الضاحوية ذات الخصائص الصينية» (رقم المشروع: 21&ZD175)؛ ومشروع الصندوق الوطني للعلوم الطبيعية في الصين «تحسين تقنيات تخطيط الفضاء الإقليمي في المناطق الحضرية-الريفية المختلطة بمنطقة خليج قوانغدونغ-هونغ كونغ-ماكاو الكبرى» (رقم المشروع: 52478052)؛ ومشروع الصندوق الطبيعي لمقاطعة قوانغدونغ «آليات الاختيار المكاني للسكن والعمل لدى سكان مناطق التمدن المشترك ومحاكاة سياسات اندماج الحدود» (رقم المشروع: 2024A1515012300).

«النموذج» انتظام قائم في إدراك الإنسان لتطور العالم، وفي التفكير التصميمي والتجريد الفكري؛ والبحث عن نماذج ثابتة يمثل إحدى الوظائف المعرفية الأساسية لدى البشر[1]. وعلى المستوى الكلي، تتسم نماذج العالم بالتعدد والتعقيد، ويكوّن مجموعها بنية العالم ونظامه. وكما أشار إنجلز[2] في نقده لـ«نظرية نماذج العالم» في كتاب «ضد دوهرنغ»، فإن وحدة العالم تقوم على المادة لا على الوجود؛ فالبيئات المادية والتنظيمات الاجتماعية والعمليات الاقتصادية تتخذ أشكالا متعددة، وتجريد مجموع هذه الأشكال المادية الملموسة يساعد على إدراك خصائصها المشتركة. أما على المستوى الجزئي، فإن نموذج التنمية الاقتصادية أو الاجتماعية هو وصف مركب للاقتصاد والمجتمع والثقافة في سياق زماني ومكاني محدد. ومن خلال استخلاص هذه النماذج وتلخيصها ثم الارتقاء بها وتحويلها، يمكن الدفع بفاعلية نحو اختراقات وتنمية في أشكال التنظيم والاستقرار الاقتصادي-الاجتماعي للدولة أو الإقليم[3].

يلخص «نموذج نهر اللؤلؤ» الإنجازات البارزة التي تحققت بعد الإصلاح والانفتاح في تعديل النظم الاقتصادية والصناعية والاجتماعية والمؤسسية في دلتا نهر اللؤلؤ[4]. وبوصفه نموذجا تنمويا مهما للتغذية الراجعة الإيجابية بين «العالمي» و«المحلي»، فقد ربط المجتمع القاعدي ذا الروح البحرية نفسه بالعالم، فانتقل من «استعارة القارب للخروج إلى البحر» إلى «بناء القارب للخروج إلى البحر» وإلى اقتصاد «طرفاه في الخارج»①. كما أدخل انفتاح السوق نظام «الثلاثة توريدات وتعويض واحد» ونمط «المتجر في الأمام والمصنع في الخلف»②، في حين قادت التجارب المؤسسية على مختلف المستويات إلى ظهور «المناطق الاقتصادية الخاصة» و«إصلاح تفويض الصلاحيات»③. وقد تنافس هؤلاء الفاعلون المتعددون وتفاعلوا، فأنضجوا معا الازدهار العام في دلتا نهر اللؤلؤ وشكلوا «نموذج نهر اللؤلؤ» المبكر.

غالبا ما يظهر «نموذج نهر اللؤلؤ» في المجال العام والنقاش الأكاديمي إلى جانب «نموذج جنوب جيانغسو» و«نموذج ونتشو»[5-9]. وتستند هذه النماذج إلى الشروط الاجتماعية والاقتصادية والمؤسسية القائمة في مناطقها، ولذلك فهي نموذجية وغنية بالخصوصية في آن واحد[9]. والجدير بالملاحظة أن نجاح «نموذج جنوب جيانغسو» يعود إلى مؤسسات البلدات والقرى التي قادتها حكومات المدن الصغيرة في مرحلة «الانتقال من التخطيط»، بينما تتمثل السمة الأبرز في «نموذج نهر اللؤلؤ» في التصنيع الريفي المجتمعي «من أسفل إلى أعلى» على مستوى القرية[10].

تطور «نموذج نهر اللؤلؤ» بدافع سعي الأرياف في دلتا نهر اللؤلؤ إلى اغتنام الفوائد الناجمة عن الفوارق الاقتصادية الهائلة. وفي ظل سياسات تشجع التجربة والسبق، أفضى تحويل الأراضي الزراعية وربطها المباشر برأس المال العالمي إلى تراكم ضخم

لرأس المال، كما أدى التضافر الصاعد بين المؤسسات والسياسات في النهاية إلى مشهد ازدهار عام قوامه «كل قرية تشعل نارها وكل بيت يتصاعد دخانه»[11]. ويعكس التحول الديناميكي الكامن خلف هذه العملية علاقة تفاعل معقدة بين «العالمي - الدولة - المحلي»، وقد دفعت هذه التفاعلات دلتا نهر اللؤلؤ إلى تغييرات وإعادة تنظيم بنيوية على مقاييس متعددة.

بعد عام 2008 بدأ التحول من «نموذج نهر اللؤلؤ» الذي شدد على المنافسة الإقليمية إلى «نموذج منطقة الخليج» القائم على التنسيق والتكامل. وفي داخل دلتا نهر اللؤلؤ، ظلت لعبة السلطة ورأس المال والتنظيم المكاني تشكل مسار «التفضية الدولتية»، فانتقل من تجربة تفويض الصلاحيات إلى التكامل الاستراتيجي. وبوصفها وحدة استراتيجية للفضاء الوطني، بدأت منطقة خليج قوانغدونغ-هونغ كونغ-ماكاو الكبرى تتحول نحو هيئة حضرية كبرى، وتحقق إعادة التمجال في إعادة بناء الرأسمال الاجتماعي القديم والجديد[12-16]. واليوم انتقلت دلتا نهر اللؤلؤ تدريجيا من المنافسة المتفرقة إلى كيان أكثر تنسيقا ووحدة، وأصبحت، بهوية منطقة الخليج الكبرى، وحدة اجتماعية واقتصادية مهمة تحظى باهتمام عالمي، وتتجه إلى تحول في نموذج تنموي جديد[14].

غير أن السؤال يظل قائما: كيف يمكن تحليل الانتقال من دلتا نهر اللؤلؤ إلى منطقة خليج قوانغدونغ-هونغ كونغ-ماكاو الكبرى انطلاقا من أساس ترابي؟ وكيف نبحث في تغير «النموذج» عن مضمون تحول التنمية الإقليمية؟ وكيف تتجلى التفاعلات البنيوية والتحولات العملية في مسار التحول الإقليمي؟ هذه الأسئلة تستحق مزيدا من البحث والنقاش.

1 «التفضية الدولتية» و«العملية البنيوية»

أدخل هنري لوفيفر (Henri Lefebvre)[17] مفهوم «نمط الإنتاج الدولتي» (state mode of production) عند بحثه في توسع الرأسمالية وتحول وظائفها السياسية والاقتصادية، مؤكدا الدور المهم الذي تضطلع به مؤسسات الدولة في إنتاج وتحول المشهد المكاني للمجتمع الرأسمالي الحديث، ومشيرا إلى أن هذه العملية مشحونة بتناقضات متنوعة. وغالبا ما يؤدي التدخل القوي لقوة الدولة إلى إظهار فضاءات الإنتاج بسمات التجانس والتجزؤ والتراتبية، فيما تحاول الدولة إيجاد نقطة توازن في لعبة تدفقات رأس المال بين العالمي والمحلي، والسلطة السياسية، والتنظيمات المحلية[18].

تركز النقاشات المتعلقة بـ«الفضاء الدولتي الجديد» أساسا في حقلي الجغرافيا والعلوم السياسية، وتهتم بـ«علاقات المقياس» و«نظرية الدولة»، وتبحث عمليات إعادة تنظيم تدفقات رأس المال والتحولات المؤسسية والتنظيمات الاجتماعية والبنية التحتية. غير أن تطبيق إطار «الفضاء الدولتي الجديد» على حالات ملموسة في السياق الصيني يواجه غالبا مشكلة تعميم تفسير الظواهر وعدم مطابقته للآليات العميقة للتنمية الصينية[13]. وبالمقارنة مع «التفضية الدولتية»، فإن هذا النسق النظري أكثر تعددا واتساعا، ويضم موضوعات ومفاهيم بحثية معقدة[19]. وقد حاول كثير من الباحثين تفكيك إطار ومضمون space state new، من منظور فاعلي السلطة ورأس المال على مستويات متعددة، للاهتمام بعملية إعادة إنتاج المناطق أو الأقاليم[20-23].

إذا كانت «التفضية» تصف عملية التفاعل العلائقي وتغير بنية الإنتاج، وتشمل التحولات الديناميكية لإنتاج المقاييس وإعادة إنتاجها في التفاعلات الداخلية والخارجية[24]، فإن «التفضية الدولتية» تركز بدرجة أكبر على إطار التفاعل بين التوسع العالمي وتدخل الدولة والاستجابة المحلية، كاشفة عن أنماط إنتاج جديدة ونظام بنيوي واستقرار نسقي ينشأ في الفضاء الترابي. وفي هذه العملية، يستمر تداول الأصول الإقليمية المهمة، مثل رأس المال والمؤسسات والمعرفة والعمل، بين المحلي والعابر للحدود؛ كما يجعل تدخل قوة الدولة في علاقات تدفق العوامل على مختلف المستويات بنية القوى بين الدولة والإقليم والشركات أكثر تعقيدا وتعددا.

انطلاقا من نظريات ماركس ودوركهايم وفيبر السوسيولوجية[25]، تُعد «العملية البنيوية» (structuring) طريقة تفكير أو منهجا بحثيا لفهم تغير الزمان والمكان والتنظيم الاجتماعي. وتعكس «العملية البنيوية» للتنظيم الاجتماعي شبكة العلاقات بين نظام تشكل التنظيم وفاعلية الإنسان في تطور المجتمع[26-27]. وعند استعارة هذا المضمون والمنهج إلى دراسة تطور الفضاء الإقليمي، يمكن استكشاف النظام المكاني ودلالة التغير الناشئين في «العملية البنيوية». فالمسار التاريخي والتحولات لا يشكلان تطور الفضاء الإقليمي فحسب، بل يؤثران على نحو أعمق في علاقات التحول الإقليمي. وتنسج أحداث الانعطاف التي تقع في الأقاليم وفاعلية التنظيمات معا شبكة العلاقات في البنية المكانية الإقليمية. ومن ثم تعرض «العملية البنيوية» للإقليم منظورا ديناميا للتطور وتُنتج أنماط التنمية المحلية، بينما يجسد النموذج وحدة التنوع في مضامين التنمية الإقليمية.

تدخل هذه الدراسة منهجية «العملية البنيوية»④ في رؤية «التفضية الدولتية» المركزة على تغير نمط الإنتاج والنظام البنيوي، بغية تعميق فهم اتجاه تغير حدود المجال الذي تدفعه قدرة الدولة. كما تساعد على فهم التحول الذي تتشكل فيه «فضاءات دولتية» جديدة بفعل الأفعال الاستراتيجية ومشروعات التنفيذ التي تبنيها الدولة، وعلى إدراك النماذج المقابلة. ويتخذ البحث دلتا نهر اللؤلؤ حالة تجريبية، مركزا على تحول «نموذج نهر اللؤلؤ» منذ الإصلاح والانفتاح، ومقارنا مضمون وخصائص انتقاله إلى «نموذج منطقة الخليج» في منطقة خليج قوانغدونغ-هونغ كونغ-ماكاو الكبرى؛ كما يراجع، في حالة تغير دائم، مسار إعادة تشكيل «التفضية الدولتية» في هذه المنطقة. وبالاستناد إلى منظور تجريبي نموذجي ومدخل خبرة حالة، يقدم البحث نقاشا نقديا ومرجعا معمقا للحوكمة التنموية الإقليمية والدراسات المتعلقة بالنماذج. انظر الشكل 1.

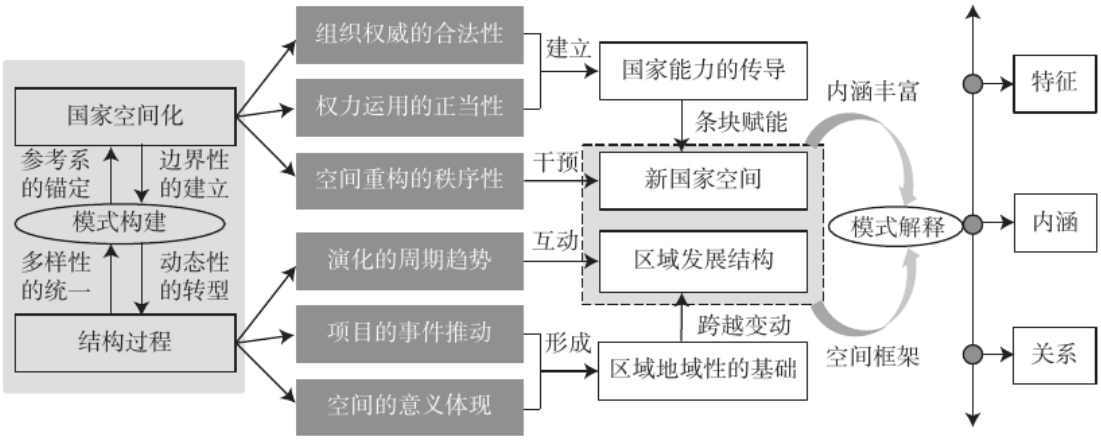

الشكل 1 إطار تفاعلي لإقامة التفضية الدولتية والعملية البنيوية داخل النموذج

2 «نموذج منطقة الخليج» يتجاوز «نموذج نهر اللؤلؤ» ويتجه نحو خليج الابتكار

الإقليم، بوصفه استعارة جغرافية تجسد وتطبعن فضاء اجتماعيا محددا ومقياسا تحليليا، ينتج وحدة جغرافية معينة، وفي الوقت نفسه يولد معاني إدراكية ونمطية متنوعة[28].

تتمتع دلتا نهر اللؤلؤ، بوصفها وحدة للبحث الإقليمي، بخصوصية جغرافية واقتصادية واجتماعية. فهي تقع جنوب جبال نانلينغ وتجاور بحر الصين الجنوبي، وليست فقط عقدة رئيسية لتداخل البحر والبر، بل هي أيضا بوابة لتبادل الموارد البحرية والبرية، مما يوفر شروطا مهمة لبناء منطقة الخليج الكبرى بوصفها مرتكزا للدورة المزدوجة. فجبال نانلينغ حد يفصل الداخل عن الخارج، وممر يصل حوض نهر اليانغتسي بحوض نهر اللؤلؤ؛ وبوصفها حدا، كوّنت منطقة تتراكب فيها تدفقات مكانية متعددة الأنواع والمستويات، وشكلت سماتها الاجتماعية والثقافية الخاصة[29]. كما أن التدفقات العابرة للحدود للأشخاص والمواد والتكنولوجيا والثقافة بين داخل وحدة دلتا نهر اللؤلؤ وخارجها بنت القوة الأساسية لحيويتها، في حين أن تفاعل الدولة والمجتمع والفاعلين الاقتصاديين في تطور الدلتا شكّل سمة مهمة لها بوصفها وحدة بحثية.

2.1 اتجاه التغير: من «المنافسة المتفرقة» إلى «التكامل الاستراتيجي»

لا يقتصر التحول إلى منطقة خليج قوانغدونغ-هونغ كونغ-ماكاو الكبرى على تحسين البنية الاقتصادية وترقيتها، بل ينطوي أيضا على بناء شبكة للسلطة الترابية والثقافة وتدفقات رأس المال في دلتا نهر اللؤلؤ ضمن إطار تفاعل «العالمي - الدولة - المحلي»، أي إن هدف التفضية الدولتية انتقل من «المنافسة اللامركزية» المبكرة إلى «التكامل الاستراتيجي».

جعل الإصلاح والانفتاح المناطق الساحلية في البداية جبهة متقدمة لاختبار انفتاح السوق والإصلاح المؤسسي. وفي مرحلة الانفتاح المبكر، اتبعت دلتا نهر اللؤلؤ استراتيجية «إطلاق الماء لتربية الأسماك»، فاستمرت في جذب رأس المال الخارجي اعتمادا على مزايا انخفاض تكلفة العمل والأرض، وتعلمت المؤسسات والتقنيات عبر نموذج «الإدخال - الهضم - الاستيعاب»[30]. ومن خلال مراجعة التغير الديناميكي في النمو الاقتصادي وتدفق الاستثمار الأجنبي في الدلتا منذ الإصلاح والانفتاح، يمكن من اتجاهات التحول أن نرى ازدهار «نموذج نهر اللؤلؤ» وتحوله التدريجي. وباتخاذ أزمتي المال العالميتين في 1998 و2008 حدين فاصليين، فقد دفعت «الثلاثة توريدات وتعويض واحد» بقوة تراكم رأس المال والتكنولوجيا والموهبة في مرحلة «التصنيع الريفي المجتمعي من أسفل إلى أعلى»، وأرست الصناعات كثيفة العمل أساسا متينا للتنمية الإقليمية. وظلت نسبة إنتاج الشركات ذات الاستثمار الأجنبي مرتفعة تاريخيا، وبلغت في عام 1992 مستوى وصل إلى .42.75% ثم بدأ نمو الاستثمار الأجنبي يتأخر بوضوح عن النمو السريع للاقتصاد الإقليمي ككل، فانتقلت الدلتا من نمط «طرفاه في الخارج» إلى نمط أكثر توازنا هو «الجذب الخارجي والربط الداخلي»، وأصبحت نقطة ارتكاز تربط السوقين الدولية والمحلية وعقدة رئيسية في نظام الإنتاج العالمي [الشكل 2(a)]. ومع اتساع سياسة الانفتاح الوطنية وازدهار الاقتصاد الإقليمي عموما، بدأت هونغ كونغ، التي كانت أهم نافذة جغرافية صينية للاتصال بالصناعة العالمية، تتحول تدريجيا إلى واحدة من هذه النوافذ، كما أخذ موقعها الاقتصادي يتراجع نسبيا [الشكل 2(b)].

ومع «التحول العلمي-الابتكاري» لمناطق التنمية الاقتصادية والتكنولوجية ومناطق التكنولوجيا العالية، وتوجيه سياسات التخفيضات الضريبية لشركات التكنولوجيا العالية، ونجاح شركات كبرى مثل Huawei وMidea وGree، تشكل تنظيم وتجمع لعناقيد الابتكار الصناعي. وانتقلت الصناعة في دلتا نهر اللؤلؤ من «الإدخال - الهضم - الاستيعاب» إلى «الابتكار الذاتي»، وأصبحت بفضل الاختراقات المستمرة في التكنولوجيا والإنتاجية منطقة عقدية مهمة في نظام الإنتاج العالمي. وهكذا تحول نموذج تنمية دلتا نهر اللؤلؤ

تدريجيا من «ازدهار متناثر» يقوم على التوطين والمنافسة اللامركزية، إلى منظومة إنتاج إقليمية «نسقية» تقودها الابتكارات وإعادة الهيكلة المكانية [الشكل 2(c)].

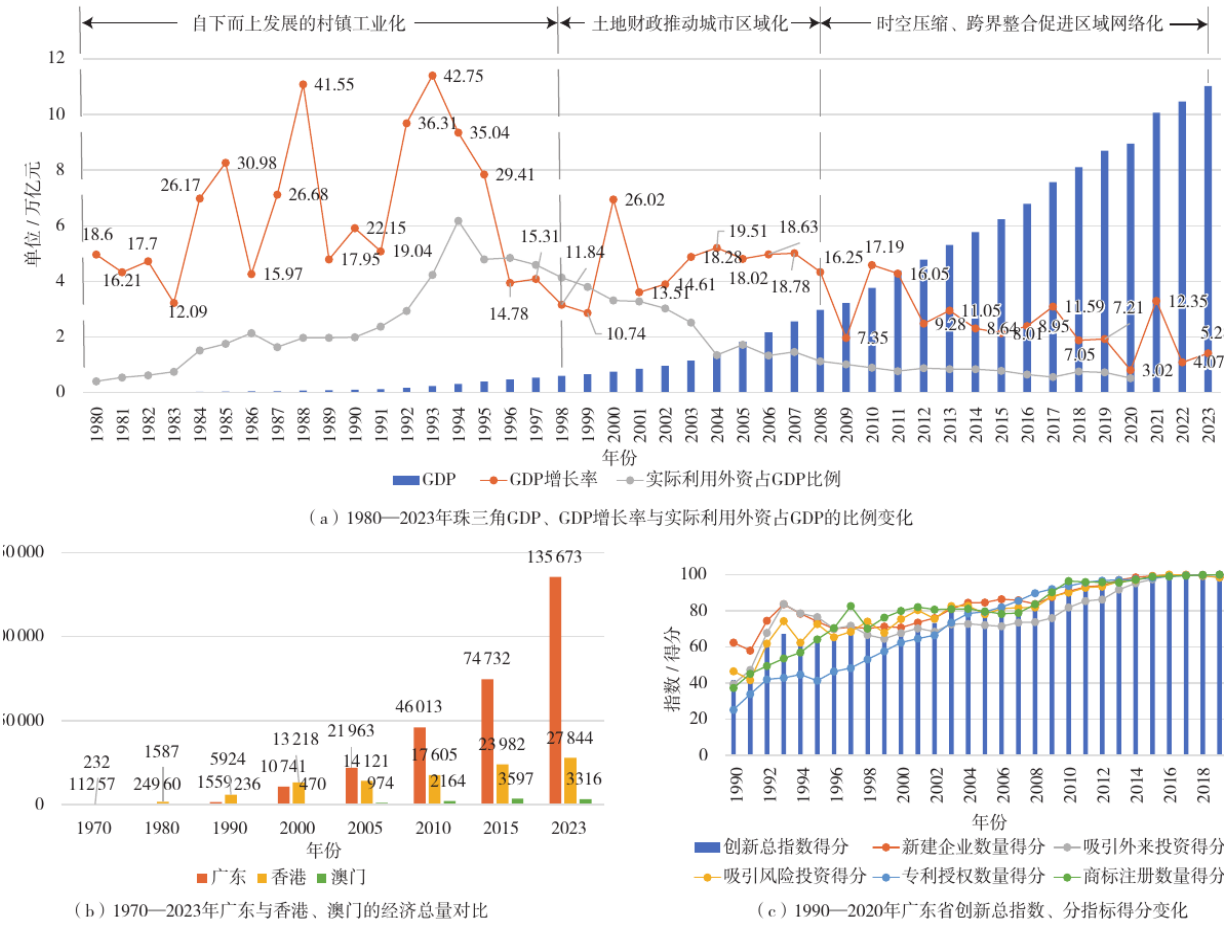

（a）1980—2023年珠三角GDP、GDP增长率与实际利用外资占GDP的比例变化

（b）1970—2023年广东与香港、澳门的经济总量对比

（c）1990—2020年广东省创新总指数、分指标得分变化

الشكل 2 تغيرات ومقارنات الاقتصاد والاستثمار والابتكار في دلتا نهر اللؤلؤ (مقاطعة قوانغدونغ)

2.2 نموذج نهر اللؤلؤ: الاتصال المباشر لرأس المال العالمي بالمدن والمجتمعات الريفية ونشوء «الطنين» الاقتصادي المحلي في الدلتا

تكوّن «نموذج نهر اللؤلؤ» من خلال التفاعل بين الداخل والخارج؛ إذ اتصل رأس المال العالمي مباشرة بالتصنيع في المجتمعات الريفية، وشاركت الشركات الخاصة المحلية والأفراد والحكومات المحلية بوصفها فاعلين رئيسيين في السوق العالمية، وشكلت، تحت تأثير الشروط الجغرافية والاجتماعية والمؤسسية، اقتصاديات حجم محلية بأحجام مختلفة. وبفضل التكامل بين اقتصاديات الحجم المحلية القائمة على الشروط الترابية، نشأ نموذج تنموي خاص. وتتمثل سمات هذا النموذج في «الجذب الخارجي والربط الداخلي»، وبنيته الأساسية في «المتجر في الأمام والمصنع في الخلف»، أما تراكم رأس المال المبكر فتم أساسا عبر «الثلاثة توريدات وتعويض واحد»[31-32].

في التفاعل الداخلي-الخارجي المبكر، اندمجت دلتا نهر اللؤلؤ في نظام الإنتاج العالمي عبر نافذتي هونغ كونغ وتايوان، وربطت نفسها بـ«القنوات العالمية»، وسرعت انتقال رأس المال الصناعي العالمي إليها. وفي مناطق التنمية بالمدن المركزية والمجتمعات الريفية ظهر «الطنين المحلي» ونتجت عنه آثار مضاعفة اقتصادية واضحة. ويهدف مفهوم «القنوات العالمية - الطنين المحلي» pipeline-local (global buzz) إلى تفسير آلية تفاعل المعرفة والابتكار لدى الشركات العابرة للحدود على المستوى العالمي؛ إذ تستطيع الكيانات أو المناطق المتأخرة النمو أن تحصل عبر «القنوات العالمية» على فيوض المعرفة والتكنولوجيا ورأس المال. وبعد أن يراكم الفاعلون المحليون قدرا من القوة الاقتصادية والقدرة الابتكارية، يستطيعون كسر القيود الترابية والانتقال من التلقي السلبي إلى الإخراج الفاعل، وبناء شبكات أكثر تنوعا على مستوى «العالمي - المحلي»[33-34].

من خلال رصد الخصائص الجغرافية لبيانات الشركات المسجلة في دلتا نهر اللؤلؤ خلال مرحلتي 1980-2000⑥، يتبين أن قوانغتشو وشنتشن، وهما مدينتان محوريتان مهمتان في الدلتا، أصبحتا عقدتين مركزيتين لـ«الطنين المحلي». أما دونغقوان وتشونغشان ونانهاي وشونده، التي عُرفت باسم «النمور الأربعة الصغيرة في قوانغدونغ»⑦، فقد اعتمدت على منظومات اقتصادية قروية-بلدية

متخصصة وذات خصائص ترابية واضحة، وشيدت نماذجها الخاصة للتصنيع الريفي المجتمعي، لتشكل معا عقدا مهمة في شبكة «الطنين المحلي». وتتسم هذه العقد بمنافسة أفقية وبجذب مباشر للاستثمار الأجنبي.

في هذه المرحلة كان «الفضاء الدولتي» في حالة اختبار انتقائي للانفتاح الخارجي. وبفضل الشروط الجغرافية وفوارق التنمية وما وفرته من فرص لالتقاط منافع هائلة، حصلت المحليات في الدلتا على حوافز تفويض الصلاحيات، وواصلت إصلاح الأنظمة سعيا إلى النمو الاقتصادي وتحسين شروط الحياة. وأقامت الحكومة المركزية، عبر دفع سياسة الانفتاح وتسوّق الاقتصاد، التزامات موثوقة للتحفيز وفوضت السلطات إلى الحكومات المحلية. وكان اختيار تشوهاي وشنتشن منطقتين اقتصاديتين خاصتين استنادا إلى تحليل «الكلفة - المنفعة الاجتماعية» تجربة مهمة في السياسة الاقتصادية للدولة[35-36].

إضافة إلى الحوافز السياسية والاقتصادية التي حصلت عليها الحكومات المحلية بفضل إصلاح تفويض الصلاحيات[37]، كان الأهم أن الفاعلين الخاصين المحليين رأوا، في الفجوة بينهم وبين الاقتصادات المتقدمة، إمكانية ضخمة لالتقاط المنافع. ولذلك أُدخل عدد كبير من شركات «الثلاثة توريدات وتعويض واحد»، واستُخدم رأس مال هونغ كونغ وماكاو ورؤوس أموال ما وراء البحار الأخرى لتأسيس شركات «ثلاثية التمويل». وفي الوقت الذي جذبت فيه مؤسسات البلدات والقرى الاستثمار الأجنبي، استوعبت أيضا خبرات إدارية ونماذج تشغيلية متقدمة من الخارج، وحققت عبر عملية مستمرة من «الهضم - الاستيعاب» تراكما فعالا لرأس المال الصناعي وترقيته. وقد ربط تعاون «الثلاثة توريدات وتعويض واحد» و«المتجر في الأمام والمصنع في الخلف» مدن الدلتا وبلداتها بـ«القنوات العالمية»، وبدأت تتشكل مناطق تجمع صناعي واسعة ومتنوعة. انظر الشكل 3.

2.3 التحول: تعديل تقسيمات المدن الكبرى يعيد تشكيل نموذج نهر اللؤلؤ ويفتح إعادة التمجال الإقليمي

ينحدر مصطلح «المجال» من مفهوم في العالم البيولوجي يحدد فضاء وحدودا عبر التنافس على الموارد ونطاق النشاط؛ وفي الجغرافيا والدراسات الإدارية يركز على علاقات التفاعل بين التنظيم والسلطة والموارد في الفضاء[38]. وتستطيع «المجالة» وصف التغيرات الكبيرة في الفضاء والمقياس التي تحدث أثناء تحول الإنتاج الإقليمي، أما «إعادة التمجال» فهي نوع من قفز المقاييس (jumping scales) أو إعادة القياس (re-scaling)[39]. وكما يقول David Harvey[40]، فإن القدرة على تحويل الفضاء تعتمد على إنتاج الفضاء. وفي جولة جديدة من إنتاج وإعادة بناء رأس المال المكاني بفعل توسع رأس المال المعولم، تتعرض البنى المكانية القديمة والجديدة للمجتمع ورأس المال باستمرار للخلق والهدم وإعادة التشكيل؛ وتحدث إعادة التمجال في الصراعات داخل المجال وخارجه[40-41]. انظر الشكل 4.

في بداية الإصلاح والانفتاح، طبقت الصين سياسة «السيطرة على حجم المدن الكبيرة، وتطوير المدن المتوسطة تطويرا معقولا، وتنمية المدن الصغيرة بنشاط». واستقرت شركات استثمار أجنبي كثيرة من نمط تجارة المعالجة ضمن «الثلاثة توريدات وتعويض واحد»، ومؤسسات البلدات والقرى، في مناطق التصنيع القروي-البلدي في دلتا نهر اللؤلؤ. وقد حفزت هذه العملية ازدهار الاقتصاد المحلي، لكنها جلبت كذلك مشكلات عديدة؛ إذ التزمت الحكومات الإقليمية بمختلف مستوياتها، سعيا إلى النمو السريع، بفكرة «تفويض الصلاحيات يحفز المنافسة، والمنافسة تدفع النمو». ومع تنافس المدن والمحافظات على موارد التنمية، تشكلت تدريجيا حماية محلية عززت «اقتصاد الوحدات الإدارية» وعرقلت تدفق عوامل السوق. ومع تراكم رأس المال الإنتاجي في مناطق التصنيع القروية-البلدية الأصلية في دلتا نهر اللؤلؤ، اشتدت المنافسة، وبرزت النزعة الانكفائية، وصار من الصعب توليد شروط نمو ومساحات تنموية جديدة.

بعد عام 2000، أدى انضمام الصين إلى منظمة التجارة العالمية (WTO)، بالاستناد إلى منجزات «نموذج نهر اللؤلؤ»، إلى تسريع انتقال رأس المال والتكنولوجيا من العالم إلى المحليات. وفي الوقت نفسه خففت الدولة القيود المفروضة على تنمية المدن الكبرى، ودفع تعديل التقسيمات الإدارية إلى تحويل حدود المجالات القائمة والتوجه نحو «إعادة التمجال». وبدأت المدن المركزية تسعى إلى تقسيم عمل على نطاق أوسع، وحققت، من خلال إعادة التمجال، ارتباطا صناعيا «عالميا - محليا» عزز التحول بين الدورتين الداخلية والخارجية.

استجابة للأزمة المالية الآسيوية عام 1997، أطلقت الدولة إصلاح تسويق السكن. واستخدمت الحكومات المحلية عوائد الأراضي لدعم المالية الصناعية، فحسّنت تخصيص الموارد حول عامل الأرض، ووسعت مصادر الإيرادات المالية، وسرّعت تنمية المدن المركزية ذات التجمع السكاني العالي. واتجه تطور الفضاء الدولتي في دلتا نهر اللؤلؤ نحو «مدينة-إقليم»، بما دفع التكامل الحضري-الريفي والتنسيق الإقليمي.

في عام 2004 قررت لجنة الحزب وحكومة مقاطعة قوانغدونغ إعداد «خطة التنمية المنسقة للتجمع الحضري في دلتا نهر اللؤلؤ (2004-2020)» بالتعاون مع وزارة البناء. واقترحت الخطة بناء الدلتا لتصبح «تجمعا حضريا عالميا»، وشددت على البناء المنسق بين المدن المركزية والمجالات الخلفية المحيطة بها، وطرحت، انطلاقا من «بنية مكانية شبكية»، إنشاء «هيكل عظمي» يعزز القدرة التنافسية الجوهرية للدلتا. وبدأت المدن المركزية تقود المجال وتربط بنيتها التحتية بالمجالات الخلفية الإقليمية، لتبني نظاما حضريا كبيرا عبر ضغط الزمان-المكان وترابط العوامل. ويظهر تحليل بيانات الشركات المسجلة ووحدات الابتكار المكانية في الدلتا بين 2001 و2010⑥⑧ أن قوانغتشو وشنتشن وسعتا باستمرار مجالاتهما الخلفية عبر روابط البنية التحتية، واتجهتا نحو منظومة حضرية كبرى من «التركيز - الانتشار» تتمحور حول المدن المركزية. وهكذا انتقل نموذج نهر اللؤلؤ من منافسة متناثرة إلى نمط منافسة-تعاون حضري كبير حول المدن المركزية، واضعا أساس التنسيق والتكامل الإقليميين. انظر الشكل 3.

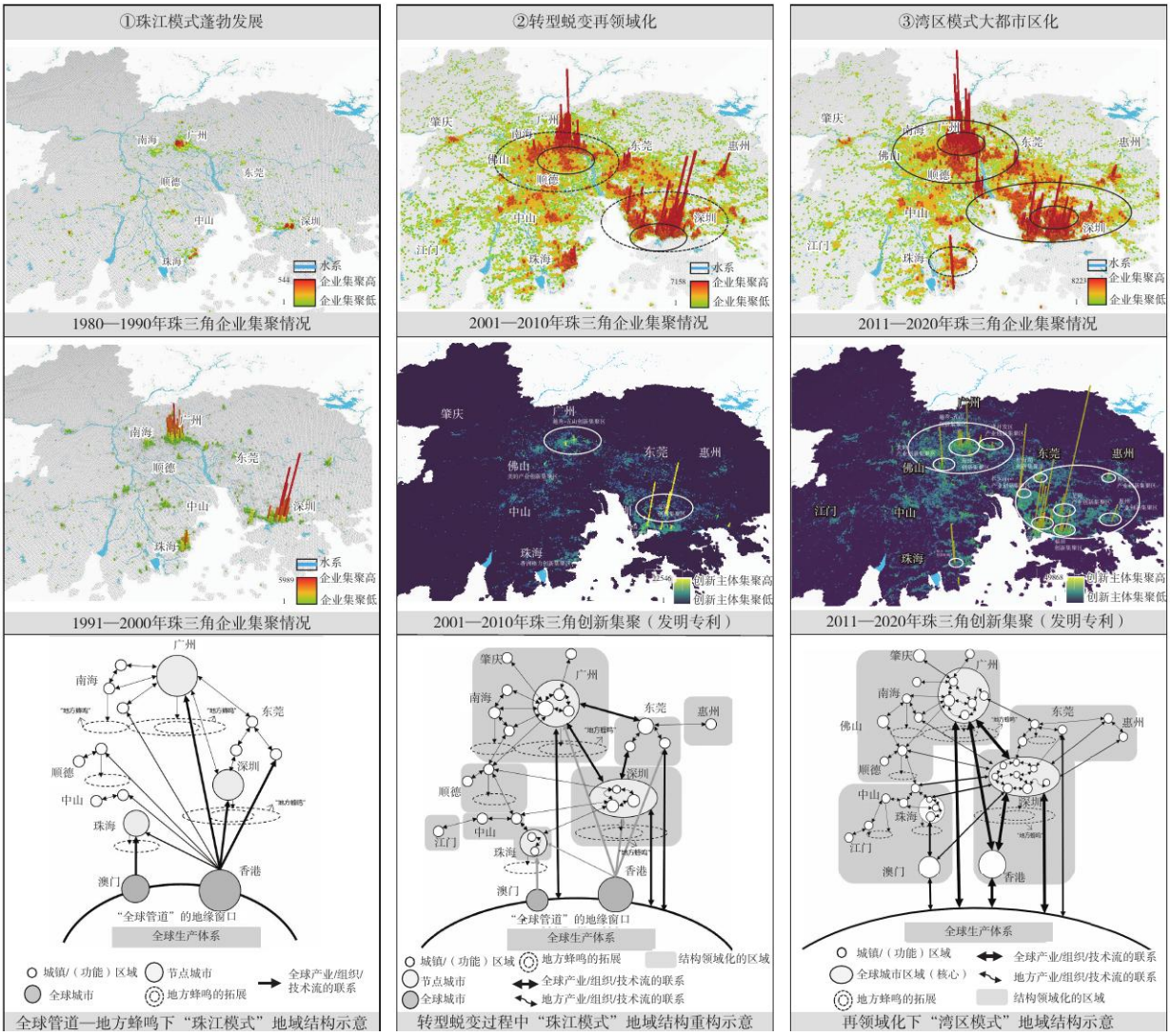

الشكل 3 قياس وعملية بنيوية لانتقال «نموذج نهر اللؤلؤ» إلى «نموذج منطقة الخليج»

2.4 نموذج منطقة الخليج: المدن المركزية تُبنين تدريجيا نظاما حضريا كبيرا، واقتصاد الابتكار في منطقة الخليج الكبرى يضخ طاقة دافعة

مرت التفضية الدولتية في منطقة خليج قوانغدونغ-هونغ كونغ-ماكاو الكبرى بإعادة تنظيم المقاييس الإقليمية وبالتحول الصناعي نحو الابتكار. فقد أدى دمج منطقتي هونغ كونغ وماكاو الإداريتين الخاصتين مع دلتا نهر اللؤلؤ، والاستثمار في بنى تحتية كبرى عابرة للبحر، وإتاحة مرور المركبات من هونغ كونغ شمالا، إلى دفع تشكل سوق كبرى موحدة. وبوصف «نموذج منطقة الخليج» مرحلة جديدة في تطور «نموذج نهر اللؤلؤ»، فإنه يدل على أن الدلتا، بعد مرحلة «الإدخال - الهضم - الاستيعاب» للصناعة والتكنولوجيا، كوّنت على هذا الأساس نموذجا تنمويا إقليميا منسقا موجها بالابتكار. فإذا كان هدف بناء الفضاء الدولتي في المرحلة السابقة عملية تراكم عبر «التجربة - الارتباط»، فإن هدف نموذج منطقة الخليج الراهن ينبغي أن يكون عملية تنسيق عبر «التآزر - الابتكار».

في ظل التغذية الراجعة الإيجابية المتبادلة بين الحكومة والسوق، انتقلت دلتا نهر اللؤلؤ من «مصنع العالم» إلى «خليج الابتكار»[42-44]. فأصبح الابتكار محركا مركزيا؛ واندمجت الشركات الكبيرة والمتوسطة والصغيرة في شبكات الإنتاج العالمية؛ وبنت قدرة الدولة والمجتمع المحلي معا سوقا إقليمية كبرى موحدة؛ واتصلت المجالات ذات المقاييس والمستويات المختلفة في شبكة، محققة تنمية إقليمية ضخمة ومتكاملة في آن واحد على أساس «القوى الإنتاجية الجديدة النوعية». وتتمثل سماتها البارزة في أن المدن المركزية الإقليمية تصبح محاور لـ«الدورة المزدوجة»؛ وتتشكل «منطقة حضرية كبرى» متعددة المراكز ومتعاونة على أساس المناطق الحضرية الكبرى؛ ويصبح التحول الصناعي حاملا للابتكار.

ويبين تحليل بيانات الشركات المسجلة ووحدات الابتكار المكانية في دلتا نهر اللؤلؤ بين 2011 و2020⑥⑧ أنه في ظل تأثير نمط «القنوات العالمية - الطنين المحلي»، أخذت درجة الاستقطاب في عناقيد الصناعة في منطقتي قوانغتشو وشنتشن الحضريتين الكبريين تزداد باستمرار، منتجة عقدا وظيفية للتجمع الصناعي متعددة المستويات والمقاييس. ومع التقارب الجغرافي والتكنولوجي والعلائقي لمناطق التجمع الصناعي، بدأت مناطق كثيرة في الخليج الكبير تشكل أنواعا مختلفة من وحدات الفضاء الابتكاري. وتحت

أهداف الابتكار التي تحددها الحكومة وحوافز المناطق التجريبية للسياسات، استقطب حجم الابتكار في هذه الوحدات بدوره، وشكل شبكة ابتكار إقليمية.

وعلى المقياس العالمي، كوّنت منطقة الخليج الكبرى وحدة فضاء دولتي معاد تمجالها ذات أبعاد سياسية واقتصادية وثقافية. وفي بنائها المحلي، ارتبطت مناطق التصنيع الريفي المتفرقة والمتنافسة أصلا، عبر بنى تحتية عابرة للحدود ومترابطة، بالمدن المركزية الإقليمية لتشكيل تنظيم عمل تراتبي وشبكي. وحول منطقتي قوانغتشو-فوشان وشنتشن-هونغ كونغ الحضريتين الكبريين تكوّن نظام إنتاج إقليمي مهم معاد تمجاله. انظر الشكل 3.

3 إعادة تشكيل الفضاء في منطقة خليج قوانغدونغ-هونغ كونغ-ماكاو الكبرى وخصائص انعطاف الفضاء الدولتي

في العملية البنيوية للتنمية الإقليمية، انتقلت خصائص منطقة الخليج الكبرى من التصنيع القروي-البلدي «المتناثر والمتنافس» إلى نظام حضري كبير «مركز ومقسم وظيفيا». ومع الاستمرار في بناء بنى تحتية إقليمية كبرى مثل السكك الحديدية بين المدن، تتقلص المسافات الزمنية-المكانية بين المدن المركزية والأطراف باستمرار. وتعاد بذلك صياغة الشكل الاقتصادي والمكاني للخليج الكبير، الذي يتشكل كاقتصاد ضخم ممتد مكانيا ومزدهر ككل.

ومن «نموذج نهر اللؤلؤ» إلى «نموذج منطقة الخليج»، شهدت منطقة الخليج الكبرى إعادة تركيب مستمرة للمقاييس، بما أحدث تحولا في أهداف التنمية ومضامينها. أولا، في نظام اقتصاد السوق الاشتراكي ذي الخصائص الصينية، وفي ظل نمط الحوكمة المركزية القائم على علاقة «الخطوط والكتل» بين الإدارات، تعد الوزارات المركزية والحكومات المحلية الفاعلين الرئيسيين؛ ومن الدولة إلى المحلي تتشكل تفاعلات رأسية وأفقية بين الأقسام الوظيفية، أي المنطق التنظيمي والعلائقي لـ«الخطوط» و«الكتل»[45]. ويستخدم المركز والمحليات «نظام التعاقد الإداري» (بنية M محسنة)، الذي يحقق التكامل والتنسيق في التفاعل المتواصل والمتدرج بين المركزية واللامركزية[46]. ومن خلال التفويض الرأسي تمنح الحكومات العليا الحكومات المحلية سلطة صياغة السياسات العامة وتنفيذها داخل نطاقها[47]. وهذا يختلف بوضوح عن نمط تخصيص الموارد في الدول الرأسمالية في إطار «الفضاء الدولتي الجديد»: إذ تميل قدرة الدولة الصينية مكانيا إلى التوازن الكلي وتعزز قدرة التخصيص التنازلي للموارد؛ أما الفضاء الدولتي الرأسمالي فيركز أكثر على المزايا النسبية، ويعتمد أساسا على قدرة رأس المال في التحرك عبر المنافسة الحرة لموارد السوق.

أولا، في نظام اقتصاد السوق الاشتراكي ذي الخصائص الصينية وضمن نمط الحوكمة «التياو-كواي» للحكومة المركزية، تشكل الوزارات المركزية والحكومات المحلية الفاعلين الرئيسيين؛ ومن المستوى الوطني إلى المحلي تتكون تفاعلات رأسية-أفقية بين الأقسام الوظيفية، أي منطق العلاقة بين الخطوط القطاعية والمجالات الترابية[45]. ويستند المركز والمحليات إلى «نظام التعاقد الإداري» (بنية M محسنة)، فينتج عنه تكامل وتنسيق داخل تفاعل متدرج ومتواصل بين المركزية واللامركزية[46]. وبالتفويض الرأسي تمنح الحكومات العليا الحكومات المحلية القدرة على وضع السياسات العامة وتنفيذها في نطاقها[47]. ويختلف ذلك بوضوح عن ترتيب الموارد في الدول الرأسمالية ضمن إطار «الفضاء الدولتي الجديد»: فالتوجه المكاني لقدرة الدولة الصينية يفضل التوازن العام ويقوي قدرة تخصيص الموارد من أعلى إلى أسفل؛ أما الفضاء الدولتي الرأسمالي فيشدد على المزايا النسبية، ويعتمد أساسا على قوة رأس المال عبر المنافسة الحرة في السوق.

في بداية الإصلاح والانفتاح طُرح هدف «التنمية هي الحقيقة الأولى»؛ فأدت الإصلاحات المؤسسية وتفويض الصلاحيات والمصالح إلى أن تلعب الحكومات المحلية دور الدولة التنموية[48]. وفي دلتا نهر اللؤلؤ تنافست هذه الحكومات التنموية على النمو، وشكلت «نموذج نهر اللؤلؤ» بسمتي التصنيع الريفي المتناثر والطنين الاقتصادي المحلي. وفي ذلك الوقت كانت أهداف اختيار الفضاء الدولتي في الدلتا ذات طابع استراتيجي وتجريبي: فقد اختيرت المناطق الاقتصادية الخاصة، استنادا إلى تحليل «الكلفة - المنفعة» الاجتماعية والاقتصادية، لتكون تجارب لتعميق الانفتاح، مع تعبئة المزايا الجغرافية والثقافية والاجتماعية للمدن الساحلية من أجل دفع إصلاح تسويق الاقتصاد. وبدأت المناطق الاقتصادية الخاصة ومناطق التنمية وغيرها من مناطق السياسات المحددة في إدماج مؤسسات الدولة وعلاقاتها على مقاييس ومجالات مختلفة، محققة تمايزا جغرافيا في سلطة الدولة ووظائفها. ومن خلال قدرة الدولة، وفرت الحكومة المركزية الحوافز وعززت دوافع النمو لدى الحكومات المحلية؛ وفي الوقت نفسه صنعت حكومات المقاطعات والمدن مزايا نسبية عبر استراتيجيات لامركزية ومخصصة، دعمت تراكم رأس المال البدائي وتجميع الصناعة إقليميا[49].

وعلى الرغم من نجاح «نموذج نهر اللؤلؤ» في تراكم رأس مال صناعي أولي عبر «الثلاثة توريدات وتعويض واحد»، وتجميع عناقيد صناعية واسعة ومتنوعة في مدن وبلدات الإقليم عبر «القنوات العالمية - الطنين المحلي»، فإن «المنافسة إلى القاع» بين الحكومات المحلية فاقمت إغلاق الأسواق والحماية المحلية بين المناطق، وأدت إلى اختلال التوازن بين المصالح المحلية الجزئية والمصلحة الإقليمية العامة[50-51]. وفي هذه المرحلة أخذ «نموذج نهر اللؤلؤ» يتحول تدريجيا إلى «نموذج منطقة الخليج»، وانتقل اختيار الفضاء الدولتي من تجربة التنمية المحلية إلى التدخل المنسق والتعديل على مستوى الإقليم كله.

بوصفها وحدة ذات آثار قوية لاقتصاديات الحجم، أصبحت مجموعة مدن منطقة الخليج الكبرى مجالا لتجارب مشروعات الدولة على مقاييس ومستويات استراتيجية مختلفة، وارتفع مقياسها الإقليمي وأعيد تركيبه باستمرار. فقد قدمت الحكومة المركزية في مخطط تنمية منطقة الخليج الكبرى، وقدمت حكومة المقاطعة في الخطة الخمسية الرابعة عشرة وخطة السكك الحديدية بين المدن للسنوات

2020-2030، ترتيبات استراتيجية لتطويرها. وعزز ذلك دور التخطيط الإقليمي كأداة حكومية للتنظيم، وخفف الحدود الإدارية القائمة، ودفع إعادة تركيب المقاييس بين المجالات، وزاد تدفق رأس المال والموارد الاجتماعية، ووجه الوحدات المكانية الإقليمية نحو تنظيم متعدد المراكز وشبكي ونسقي.

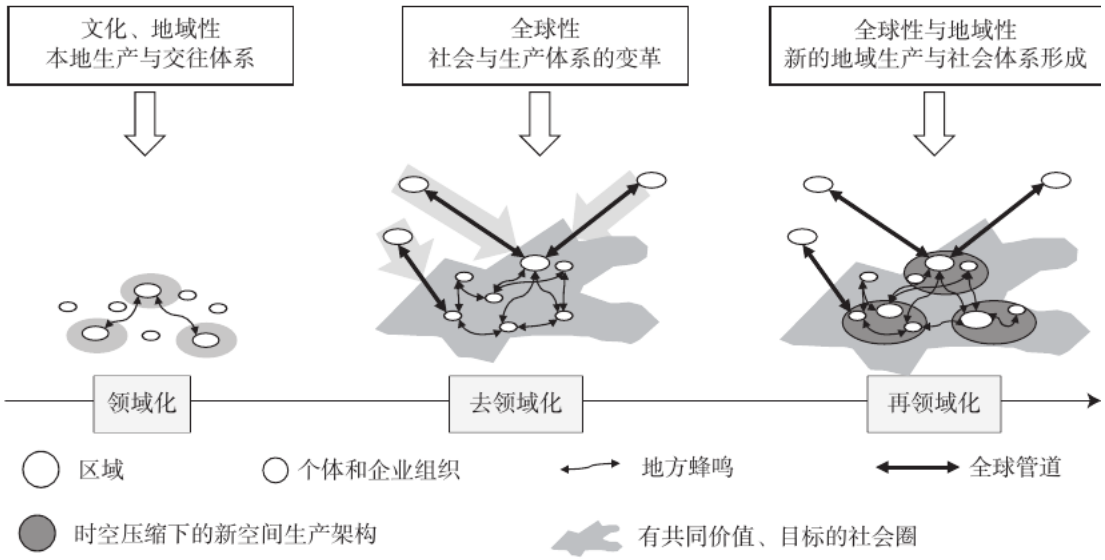

الشكل 4 تغير المقياس الإقليمي في المجالة وإعادة التمجال[34]

ومن ثم فإن «نموذج منطقة الخليج» يعني انتقال اختيار الفضاء الدولتي من تجربة محلية إلى تنسيق كلي إقليمي. فقد تحول نمط الحوكمة الإقليمية من سعي الحكومات المحلية، في ظل تفويض الصلاحيات المبكر، إلى المنافع المنفصلة و«ريادة الأعمال الحضرية»، إلى الإقليمية على مستوى المقياس والسوق الموحدة؛ وعمّق ذلك تطور أقاليم المدن، وتحول إلى نموذج تنموي يقوم على تحالف الحكومات المحلية وتقوده ريادة أعمال الدولة[52]. وبوصفها وحدة استراتيجية اقتصادية واجتماعية إقليمية، حققت منطقة الخليج الكبرى، عبر ترتيبات الفضاء الدولتي واستراتيجيات المقاييس المختلفة، رفع مقياسها الكلي وإعادة تركيب داخلية متعددة المستويات، مما عزز تكاملها. انظر الشكل 5.

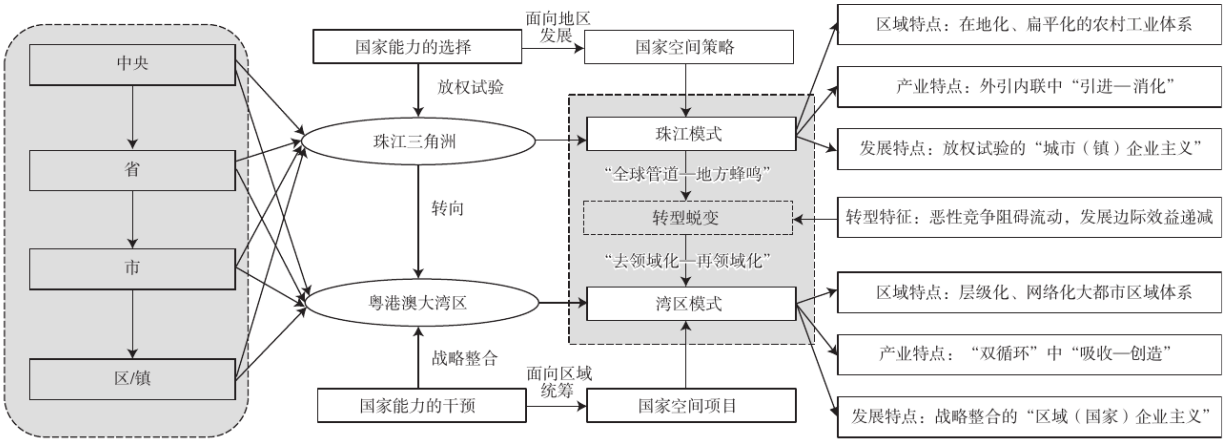

الشكل 5 انعطاف التفضية الدولتية من «نموذج نهر اللؤلؤ» إلى «نموذج منطقة الخليج»

4 مناقشة وآفاق

ركز هذا المقال على العملية البنيوية للتحول من «نموذج نهر اللؤلؤ» إلى «نموذج منطقة الخليج»، ويمكن استخلاص النتائج الآتية. (1) يمثل «نموذج نهر اللؤلؤ» حقلا لـ«التجربة الانتقائية» في الفضاء الدولتي. فقد أنتجت سياسات الانفتاح السوقي المناطق الاقتصادية الخاصة، في حين أطلقت الإصلاحات المؤسسية التصنيع الصاعد في المجتمعات القروية والبلدية. وبالاستناد إلى مزاياه الجغرافية والثقافية والتنظيمية والمؤسسية، شكّل دلتا نهر اللؤلؤ أنواعا مختلفة من «الطنين» الاقتصادي الصناعي المحلي، وحقق تراكم الثروة تدريجيا من خلال انتقال الصناعة وتفاعلها بين «العالمي - المحلي».

(2) يمثل «نموذج منطقة الخليج» التفضية الدولتية لـ«نموذج نهر اللؤلؤ»: فبناء منطقة خليج قوانغدونغ-هونغ كونغ-ماكاو الكبرى هو استراتيجية وطنية كبرى تنفذ من أعلى إلى أسفل. وقد أدى تكامل هونغ كونغ وماكاو مع دلتا نهر اللؤلؤ، والاستثمار في البنى التحتية الكبرى العابرة للبحر، ونظام «مركبات هونغ كونغ المتجهة شمالا»، إلى دفع تشكل سوق كبرى موحدة.

(3) إن انتقال «نموذج نهر اللؤلؤ» من التراكم البدائي إلى الاختراق الابتكاري في «نموذج منطقة الخليج» يمثل تحولا في أهداف التنمية الاستراتيجية ومضامينها في منطقة الخليج الكبرى عبر التفضية الدولتية. وبوصفها وحدة جغرافية اقتصادية، فقد حققت منطقة الخليج الكبرى، وفق قياسات البيانات الضخمة في هذه الدراسة، إعادة تمجالها بالفعل. وهي تدخل مرحلة جديدة تقودها مواءمة «اقتصاد الابتكار» ورعاية «القوى الإنتاجية الجديدة النوعية»، وتتحول بنيتها الإقليمية من منافسة عقدية متناثرة إلى تكامل تعاوني لمنطقة حضرية كبرى.

ينبغي التأكيد أن دلتا نهر اللؤلؤ كانت تاريخيا منطقة نشطة في التجارة الخارجية، تختلط فيها التنظيمات والمعاملات الرسمية وغير الرسمية. ولديها تقليد انفتاح وثقافة تجارية وشبكات اجتماعية واسعة في ما وراء البحار. وهذا يشكل قاعدة الإصلاح والانفتاح اللذين دفعت إليهما حكومات الدلتا المحلية بنشاط، كما يعكس وحدة «المصادفة» و«الضرورة» في اختيار هذا المجال من قبل سلسلة من استراتيجيات ومشروعات الفضاء الدولتي، مثل «تجربة المناطق الخاصة» و«إصلاح تفويض الصلاحيات».

إن انتقال دلتا نهر اللؤلؤ إلى منطقة الخليج الكبرى هو مسار تنتقل فيه التفضية الدولتية، الناتجة من تصادم التنظيمات التجريبية، من الاستكشاف والتغير الابتكاري إلى استقرار تكيفي. فمن النموذج القديم «طرفاه في الخارج» إلى «الدورة المزدوجة» الداخلية-الخارجية الراهنة، وإلى الترتيب الاستراتيجي لـ«السوق الإقليمية الكبرى الموحدة»، تستجيب استراتيجيات الفضاء الدولتي لتحديات البيئتين الداخلية والخارجية، وتسعى إلى رفع التنافسية الكلية للمنطقة عبر التنمية الابتكارية وتحسين القوى الإنتاجية الجديدة النوعية.

في التخطيط الإقليمي وترتيبات السياسات العامة، ينبغي تقييم فاعلية اختيارات مشروعات الفضاء الدولتي والاستثمار تقييما شاملا، لتوجيه إعادة التشكيل الديناميكي للفضاء الدولتي الإقليمي وتعديلها، ثم دفع التنمية المنسقة وتحسين التنظيم المكاني. وكون العالم غير خطي، وأن التنمية تنفتح على اتجاهات متعددة، هو بالضبط ما يمنح دراسة «النماذج» قيمة نمطية. ففي فترة معينة، ترتبط استراتيجيات التفضية الدولتية وترتيبات المشروعات والمنظمات الترابية بروابط معقدة مع أحداث وقواعد وخصائص اجتماعية خارجها. ولا تزال هذه الدراسة ضمن إطار كلي للعملية البنيوية، وتفتقر إلى تحليل متعدد للفاعلين والترتيبات غير الرسمية في معنى الوحدات الإقليمية؛ وسيكون ذلك أحد الاتجاهات التي ينبغي تعميقها مستقبلا.

يشكر المؤلفون المحكمين المجهولين على ملاحظاتهم واقتراحاتهم المهمة بشأن مفاهيم المقال ومنطقه. وقد أسهمت النقاط التي نوقشت في المراجعات والردود في إثراء هذا النص، وستكون أيضا سندا لتعميق البحوث اللاحقة.

الحواشي

① تعني عبارة «بناء القارب للخروج إلى البحر» أن شركات دلتا نهر اللؤلؤ لم تعد تكتفي بـ«استعارة قارب» هونغ كونغ للخروج إلى البحر، حيث كان الوسطاء يحصلون على فروق أرباح كبيرة، بل حولت نمط الإنتاج والتشغيل إلى مشاريع مشتركة مستقلة، واستخدمت رأس المال الأجنبي مباشرة لتحسين شروط الإنتاج والشركات. أما «طرفاه في الخارج» فتعني أن المواد الخام وأسواق البيع في عملية الإنتاج المحلية يقعان كلاهما في السوق الدولية.

② يشير «الثلاثة توريدات وتعويض واحد» إلى المعالجة بالمواد المقدمة، والأجزاء المقدمة، والعينات المقدمة، وتجارة التعويض. ويشير «المتجر في الأمام والمصنع في الخلف» إلى نمط خاص من تقسيم العمل الترابي والتعاون الاقتصادي بين دلتا نهر اللؤلؤ وهونغ كونغ/ماكاو؛ فـ«المتجر في الأمام» هو نافذة هونغ كونغ وماكاو المواجهة للعالم، و«المصنع في الخلف» هو دلتا نهر اللؤلؤ، وتقوم العلاقة أساسا على التكامل والمنفعة المتبادلة.

③ تشير «المناطق الاقتصادية الخاصة» إلى أربع مناطق ذات سياسات خاصة وافقت عليها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ومجلس الدولة عام 1979، بهدف خلق بيئة استثمارية جيدة، وتشجيع الاستثمار الأجنبي، وإدخال التكنولوجيا المتقدمة وطرائق الإدارة العلمية، ودفع التنمية الاقتصادية والتكنولوجية في البلدان أو المناطق المعنية. ويقصد بها هنا مدينتا شنتشن وتشوهاي الخاصتان. أما «إصلاح تفويض الصلاحيات» فيعني، بإيجاز، أن المركز فوّض المحليات سلطات ذاتية، فأصبحت لديها صلاحيات مالية وإدارية أوسع، وتمكنت من وضع سياسات تنموية ملائمة لواقعها، مثل نظام الثمانينيات القائم على «تقسيم الإيرادات والنفقات، والمسؤولية التعاقدية بحسب المستويات»، وإصلاح تقاسم الضرائب عام 1994.

④ يتخذ منهج البحث المستخدم إطار «البنية - العملية» منظورا كليا، ويجعل دراسة «النماذج» مرجعا. وتعتمد الدراسة الكمية على خصائص التركيز الوظيفي والمكاني في بيانات متعددة المصادر بوصفها حاملا ملموسا لخصائص التنمية في العملية. أما الدراسة النوعية فتبني منظومة فهم للنموذج عبر دمج الأدوات النظرية والخبرة الميدانية؛ ويتزاوج الجانبان ويتساندان.

⑤ تنظم بيانات اللوحات الإحصائية المستخدمة في المقال بحسب المراحل. وتأتي بيانات الشكلين 2(a) و2(b) من الحوليات الإحصائية الحضرية لمدن قوانغدونغ بين 1980 و2024، من مكتب الإحصاء الوطني؛ أما بيانات الشكل 2(c) فتأتي من مؤشرات الابتكار في المدن الصينية بين 1990 و2020، الصادرة عن منصة الابتكار وريادة الأعمال بجامعة بكين.

⑥ تأتي بيانات الشركات من منصة .Qichacha وباتخاذ عام 1980 نقطة بداية، نُظمت البيانات في أربع مراحل من عشر سنوات: 71,540 كيانا في المرحلة الأولى (1980-1990)، و447,792 في المرحلة الثانية (1991-2000)، و1,029,275 في المرحلة الثالثة (2001-2010)، و1,145,935 في المرحلة الرابعة .(2011-2020)

⑦ تعد دونغقوان وتشونغشان ونانهاي وشونده المناطق المركزية للنمو الاقتصادي المبكر في دلتا نهر اللؤلؤ، وقد شكلت أربعة نماذج تنموية متميزة: دونغقوان نموذج «التنمية الاقتصادية الموجهة إلى الخارج»؛ وشونده نموذج «الاقتصاد العام والصناعة والشركات الكبرى المحورية»؛ وتشونغشان نموذج «الاقتصاد المختلط الذي يدفع التنمية المشتركة لمؤسسات البلدات والقرى ورأس المال الأجنبي»؛ ونانهاي نموذج «القطاعات الثلاثة تتطور معا، وست عجلات تدور بالتوازي». وغالبا ما تُقارن هذه المدن والمناطق بـ«التنانين الآسيوية الأربعة» (كوريا الجنوبية، سنغافورة، هونغ كونغ، تايوان)، ومن هنا جاءت تسمية «النمور الأربعة الصغيرة في قوانغدونغ».

⑧ تأتي بيانات الابتكار من نظام نشر وإعلان البراءات في الإدارة الوطنية الصينية للملكية الفكرية. وتتخذ كذلك عام 1980 نقطة بداية وتُنظم في أربع مراحل؛ غير أن عدد طلبات براءات الاختراع قبل عام 2000 قليل وغير ممثل بما يكفي، لذلك يعتمد عرض خصائص التركيز الجغرافي على المرحلتين اللاحقتين لعام :2000 134,313 طلبا في المرحلة الثالثة (2001-2010)، و1,289,130 طلبا في الرابعة .(2011-2020)

المراجع

[1] LAKOFF G, JOHNSON M. Metaphors We Live By [M]. Chicago: University of Chicago .Press, 1980

[2] F. ENGELS. Anti-Dühring [M]. People's Publishing House, Beijing: 1972. (بالصينية)

[3] ALEXANDER C, ISHIKAWA S, SILVERSTEIN M, et al. A Pattern Language: Towns, .Buildings, Construction [M]. Oxford University Press, 1977

[4] ZUO Zheng. الخصائص العامة وأسباب نموذج دلتا نهر اللؤلؤ [J]. Economic and Theory Business Management, 2001(10): 71-75. (بالصينية)

[5] FEI Xiaotong. إعادة النظر في نموذج نهر اللؤلؤ (1) [J]. Outlook, Weekly: 1992(27). 10-12. (بالصينية)

[6] GU Min, ZHANG Chaolin. التحضر الريفي: مقارنة بين «نموذج جنوب جيانغسو» و«نموذج نهر اللؤلؤ» [J]. Economic Geography, 2002(4): 482-486. (بالصينية)

[7] ZHANG Linping, LIU Xiangdong, WAN Yonghong. الأجور والمزايا، وحماية الحقوق، والبيئة الخارجية: مقارنة بين العمال المهاجرين في دلتا نهر اللؤلؤ ودلتا اليانغتسي [J]. World, Management: 2006(6). 37-45. (بالصينية)

[8] LIU Xiao. مقارنة نماذج جنوب جيانغسو وونتشو ونهر اللؤلؤ: انطلاقا من دراسات Xiaotong Fei حول «النماذج» [J]. Research, Theory: 2013(14). 66-67. (بالصينية)

[9] YANG Ying. دراسة مقارنة وتقييم لنماذج التنمية الإقليمية في الصين [D]. University of Science and Technology of China, 2008. (بالصينية)

[10] TAO Ran. بين الإنسان والأرض: الإصلاح الأرضي الحضري-الريفي في نموذج النمو الصيني [M]. CITIC Press, 2019. (بالصينية)

[11] LI Zhiwei, DU Xun. ظواهر جديدة للنمو والتراجع في مناطق التحضر السريع بدلتا نهر اللؤلؤ [J]. Geographica Acta Sinica, 2017, 72(10): 1800-1811. (بالصينية)

[12] SHAN Yu, YANG Xianchun, ZHANG Zhuoran, et al. آليات إعادة تركيب المقاييس في حوكمة المدينة-الإقليم بدلتا نهر اللؤلؤ: مقارنة بين مشروعات التعاون الصناعي ومشروعات بنية النقل [J]. Geographical Research, 2020, 39(9): 2095-2108. (بالصينية)

[13] SUN Zhensheng, KUANG Bindong. مراجعة تفسير التحولات المكانية الصينية بإطار الفضاء الدولتي الجديد [J]. Progress in Geography, 2021, 40(3): 511-523. (بالصينية)

[14] LU Wei, ZHAN Qifeng, YUAN Junwen, et al. نحو «منطقة حضرية كبرى»: قياس الفضاءات الوظيفية والشبكات في المدينة-الإقليم لدلتا نهر اللؤلؤ [J]. Urban Development Studies, 2023, 30(11): 29-35. (بالصينية)

[15] LIU Yongtao, YAN Wenchao, HAN Yunya, et al. رأس المال والسلطة وإنتاج الفضاء: مسارات التنمية وآفاق المناطق الاستراتيجية في دلتا نهر اللؤلؤ [J]. Urban Planning Forum: 2016(5). 46-53. (بالصينية)

[16] al. et Guannan, LIU Yongtao, YAN Shouhua, LAI مراجعة وتقييم وتفكير في التخطيط الإقليمي لدلتا نهر اللؤلؤ [J]. Urban Planning Forum: 2015(4). 12-19. (بالصينية)

[17] LEFEBVRE H. State, Space, World: Selected Essays [M]. University of Minnesota Press, 2009.

[18] Jing. YAN إنتاج الفضاء وعملية عولمة الدولة: دراسة فكر لوفيفر حول الدولة والفضاء [J]. Reality, & Marxism (5)2020: 127-134. (بالصينية)

[19] Luqi. LI Xueguang, MA مضمون وتقييم نظرية الفضاء الدولتي الجديد [J]. Geography, Human 2017: 32(3): 1-9. (بالصينية)

[20] AGNEW J, CROBRIDGE S. Mastering Space: Hegemony, Territory and International Political Economy [M]. Routledge, 2002.

[21] BRENNER N. New State Spaces: Urban Governance and the Rescaling of Statehood [M]. Oxford: Oxford University Press, 2004: 90-94.

[22] FERGUSON J, GUPTA A. Spatializing states: Toward an ethnography of neoliberal governmentality [J]. American Ethnologist, 2002, 29(4): 981-1002.

[23] AMIN A. Spatialities of globalisation [J]. Environment and Planning A: Economy and Space, 2002, 34(3): 385-399.

[24] LEFEBVRE H. The Production of Space [M]. Beijing: The Commercial Press, 2022. (الطبعة الصينية)

[25] GIDDENS A. An Analysis of the Writings of Marx, Durkheim and Max Weber [M]. Shanghai: Shanghai Translation Publishing House, 2018. (بالصينية)

[26] al. et Ping, LIU K, Peter BOL F, Helen SIU الإقليم والبنية والنظام: حوار بين التاريخ والأنثروبولوجيا [J]. Journal of Literature, History, and Philosophy: 2007(5). 5-20. (بالصينية)

[27] Zhiwei. LIU العملية البنيوية للمجتمع والثقافة الإقليمية: حوار تاريخي وأنثروبولوجي في دراسات دلتا نهر اللؤلؤ [J]. Historical Research: 2003(1). 54-64. (بالصينية)

[28] VAN SCHENDEL W. Geographies of Knowing, Geographies of Ignorance: Jumping Scale in Southeast Asia [M]. Brill, 2005: 275-307.

[29] Shi. XIE Wei, YU Tao, WU الجغرافيا التاريخية لجبال نانلينغ [M]. Guangzhou: Guangdong People's Publishing House, 2016. (بالصينية)

[30] Hongfeng. LIU Wenying, FU Xun, LI إعادة التشكيل المكاني الصناعي في سياق العولمة الاقتصادية [J]. Tropical Geography, 2009: 29(5). 454-459. (بالصينية)

[31] Xiaopei. YAN Xin, WANG Xueqiang, XU آليات وقنوات ونماذج تدفق التكنولوجيا: حالة دلتا نهر اللؤلؤ [J]. Acta Geographica Sinica, 2002(4): 489-496. (بالصينية)

[32] Linfei. SONG ابتكار ومستقبل «النماذج الثلاثة الكبرى» في الصين [J]. Journal of Nanjing Social Sciences, 2009(1): 1-6. (بالصينية)

[33] OWEN-SMITH J, POWELL W W. Knowledge networks as channels and conduits: The effects of spillovers in the Boston biotechnology community [J]. Organization Science, 2004, 15(1): 5-21.

[34] BATHELT H, MALMBERG A, MASKELL P. Clusters and knowledge: Local buzz, global pipelines and the process of knowledge creation [J]. Progress in Human Geography, 2004, 28(1): 31-56.

[35] Yuan. SHU نموذج تنمية قوانغدونغ: ثلاثون عاما من التنمية الاقتصادية في قوانغدونغ [M]. Guangzhou: Guangdong People's Publishing House, 2008. (بالصينية)

[36] Xiaofei. CHEN Xianxiang, XU المناطق الاقتصادية الخاصة: نقطة انطلاق الإصلاح التدريجي والانفتاح في الصين [J]. Papers, Economic World 2008(1): 14-26. (بالصينية)

[37] Zhou. LI Fang, CAI Yifu, LIN تحليل الفجوات الإقليمية في مرحلة الانتقال الاقتصادي الصينية [J]. Economic Research, Journal 1998(6): 5-12. (بالصينية)

[38] Xiaoxia. XU Qinglu, YE Yungang, LIU الفضاء والسلطة والمجال: مراجعة وآفاق أبحاث الجغرافيا السياسية حول المجال [J]. Geography, Human 2015, 30(3): 1-6. (بالصينية)

[39] Ling. MA Xiaoxing, HUANG «نزع المجال» و«إعادة التمجال» في التحضر، والحوكمة الحضرية-الريفية: تحليل قرية جيانغكو في قوانغتشو [J]. Research, Geographical 2019, 38(9): 2148-2161. (بالصينية)

[40] D. HARVEY The Limits to Capital [M]. CITIC Press, 2017. (الطبعة الصينية)

[41] Fang. LU Xiaowei, LIANG Qifeng, YUAN إعادة تمجال قرية حضرية تجارية بفعل العمال المهاجرين: حالة قرية كانغله في قوانغتشو [J]. Urban Problems, 2016(11): 42-46. (بالصينية)

[42] al. et Gang, LI Qifeng, YUAN Wei, ZHAN من «مصنع العالم» إلى «خليج الابتكار»: تطور وأنماط الوحدات المكانية الابتكارية في دلتا نهر اللؤلؤ [J]. Urban Planning Forum, 2023(4): 110-118. (بالصينية)

[43] al. et Jiaying, ZHANG Danyang, CHEN Ping, SHEN التطور الزماني-المكاني لتوزيع شركات التكنولوجيا العالية في دلتا نهر اللؤلؤ [J]. Urban Planning Forum, 2023(3): 100-109. (بالصينية)

[44] Zhifeng. LI Yang, CHEN Xiangming, MA تاريخ وخصائص وآفاق تخطيط تجمع مدن منطقة خليج قوانغدونغ-هونغ كونغ-ماكاو الكبرى [J]. Urban Planning Forum, 2019(6): 15-24. (بالصينية)

[45] Zhenchao. ZHOU بناء نظام إدارة قاعدي مبسط وفعال: منظور العلاقات الرأسية والأفقية [J]. Social Sciences, Jiangsu 2019(3): 143-149. (بالصينية)

[46] Li ZHOU'an. نظام التعاقد الإداري [J]. Journal Chinese of Sociology, 2014, 34(6): 1-38. (بالصينية)

[47] Zhixiong. YANG Guanglei, ZHU تبنين المسؤوليات: شكل تطوري لنظام المسؤوليات الحكومية في الصين [J]. Academics, 2020(5): 14-23. (بالصينية)

[48] Li ZHOU'an. حوافز المسؤولين المحليين وحوكمتهم في مرحلة التحول [M]. Shanghai: Gezhi Press, 2017. (بالصينية)

[49] Jun. ZHANG اللامركزية والنمو: القصة الصينية [J]. China Economic Quarterly, 2008(1): 21-52. (بالصينية)

[50] Wengui. LIN Jiuwen, SUN Tian, XIA مراجعة تطور اقتصاد الوحدات الإدارية والاقتصاد الإقليمي في الصين، مع مناقشة اتجاه الاقتصاد الإقليمي الصيني [J]. Economist, 2018(8): 94-104. (بالصينية)

[51] Zhen. CHEN Yuan, SHI تأملات في سلوك التخطيط لدى الحكومات المحلية في إطار اقتصاد الوحدات الإدارية [J]. Urban Planning Forum, 2005(2): 45-49. (بالصينية)

[52] Limei. LI عالم من أقاليم المدن: مراجعة الدراسات الدولية حول city-regions والحوكمة المكانية [J]. Space of Review and Society, 2023(2): 34-46. (بالصينية)

نُقّح: نوفمبر 2024

(تُرجم هذا المقال بمساعدة الذكاء الاصطناعي.)